

نحوات إذاعية - إذاعة دمشق - صور من حياة الصحابة - الدرس ٢٤ : الصحابية خولة بنت مالك بن ثعلبة رضي الله عنها .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٩-٠١-٠٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أيها الأخوة والأخوات بالخير طابت أوقاتكم، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وهذه دعوة متتجدة في هذا الشهر المبارك لتابع حلقة جديدة من صور من حياة الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم الذي رباهم النبي الأعظم عليه الصلاة والسلام، هذه الإطلاقة الإيمانية على شخصيات فذة رباها رسول الله صلى الله عليه وسلم على العلم والإيمان .

أعزاعنا يسعدنا أن نستضيف فضيلة الشيخ محمد راتب النابلسي الأستاذ المحاضر في كلية التربية في جامعة دمشق والمدرس الديني في مساجد دمشق وخطيب جامع النابلسي فضيلة الشيخ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .
وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته أستاذ جمال .

فضيلة الشيخ

السيدة خولة بنت مالك بن ثعلبة شخصية فذة وصحابية جليلة من صحابة النبي الأعظم عليه الصلاة والسلام كيف نبدأ بالحديث عن هذه الشخصية الإيمانية ؟

بسم الله الرحمن الرحيم خولة بنت مالك بن ثعلبة ذات فصاحة وبلاهة كانت على صلة بالله لم تفقد إيمانها به في أحذن اللحظات بل راحت تحكم إلى الله ورسوله، قصتها مع زوجها نضعها بين يدي الأزواج والزوجات حينما يكون خلاف وجدال ومراجعة وخصام يقول عليه الصلاة والسلام:

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَفْرُكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَّ مِنْهَا آخَرَ))

[أحمد]

هذه النظرة الموضوعية نظرة علمية، ونظرة أخلاقية أن ترى ما لهذا الإنسان وما عليه، أن ترى المحسن والمساوئ، أن تكون مرآة صادقة تعكس المحسن والمساوئ .

قصتها مع زوجها قصة مؤثرة جداً قالت خولة بنت مالك بن ثعلبة في والله وفي أوس بن الصامت أنزل الله عز وجل قرآن في صدر سورة المجادلة، فقالت: كنت عنده وكان شيخاً كبيراً قد ساء خلقه بالنسبة للإنسان إذا كانت له بداية مشرفة كانت له نهاية مشرفة وخريف عمره متعلق بشبابه، فمن أمضى شبابه بطاعة الله كان له خريف عمر متألق أما من أمضى شبابه في معصية الله كان له خريف عمر مظلم، وقد كان أحد الصالحين وقد بلغ السادسة والتسعين رأه تلامذته في حال طيب منتصب القامة حاد البصر مرهف السمع، يا سيدني ما هذه الصحة التي

حباك الله إياها وأنت في السادس والتسعين، قال: يا بني حفظناها في الصغر فحفظها الله علينا في الكبر، من عاش تقىً عاش قويًا .

قالت: كنت عنده وكان شيخاً كبيراً قد ساء خلقه وضجر، قالت دخل علي يوماً فراجعته بشيء غضب وقال: أنت علي كظهر أمي ثم خرج .

ما معنى هذا القول فضيلة الشيخ؟ يعني أنت محرمة علي لا أقربك الحقيقة الإنسان أمه أمه، أما زوجته ليست أمه هذا كلام غير صحيح .

وقال: أنت علي كظهر أمي ثم خرج فجلس في نادي قومه ساعةً ثم دخل علي فإذا هو يريديني فقلت: كلا والذي نفسي بيده لا تخلص إلي وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله رسوله علينا، هي ظنطلاقاً وهي ورعة وخافت أن يقربها بالحرام، قالت: فوايني – أي أرادني بالقوة – فامتنع منه فغلبته بما تغلب به المرأة الشيخ الضعيف فألقيته عنى، ثم خرجت حتى جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلست بين يديه وذكرت إليه ما لقيت منه، فجعلت أشكو إليه ما ألقى من سوء خلقه، قالت: يا رسول الله، إن زوجي تزوجني وأنا شابة ذات أهل ومال وجمال، فلما كبرت سني ونشر بطني وذهب مالي وتفرق أهلي، قال: أنت علي كظهر أمي ثم خرج،ولي منه أولاد إن تركتهم إليه ضاعوا أنا أربיהם، وإن ضممتهم إلي جاعوا هو ينفق عليهم .

أستاذ جمال

القضية دقيقة جداً المرأة الرجل متكاملان هو يعمل ويكسب المال وينفق على أسرته وهي تربي الأولاد وكل يقدم مهمة كبيرةً ولها دور خطير، عملية تكاملية، إن تركتهم إليه ضاعوا أنا أربיהם وإن ضممتهم إلي جاعوا، والذي أتمنى أن يكون واضحاً عند الأخوة المستمعين أن المرأة تكمل الرجل وإنه يكملها هو يسكن إليها لأنه يكمل نقصه فيها، وهي تسكن إليه لأنها تكمل نقصها فيه، هو يتمتع بالقوة وهي تتميز بالعاطفة والقوة والعاطفة إذا اجتمعا تكاملتا.

قالت: والله ما برأت حتى نزل في قرآن فتعشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يتغشاه ثم سري عنه فقال يا خويلة: قد أنزل الله فيك وفي صاحبك قرآنًا ثم قرأ عليها:

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ التِّي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرُكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (١)

[سورة المجادلة]

إلى قوله تعالى:

﴿مَسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابُ الْيَمِّ﴾ (٤)

[سورة المجادلة]

قال عليه الصلاة والسلام: أئمريه أن يعتق رقبة هذه كفاره الظهار فقلت: والله يا رسول الله ما عنده ما يعتقد، قال: فليصم شهرين متتابعين، قالت فقلت: والله يا رسول الله إنه لشيخ كبير ما به من طاقة، قال: فليطعم ستين مسكيناً وسقاً من تمر، قالت فقلت يا رسول الله ما ذاك عنده، فقال

عليه الصلاة والسلام: فإننا سمعينك بعزم من تمر، فقلت: يا رسول الله وأنا ساعينه بعزم آخر، فقال قد أصبت وأحسنت فاذبهي وتصدق بي عنه، واستوصي بابن عمك خيراً.

لاحظ فضيلة الشيخ

سماحة الإسلام ويسر الدين، الإسلام بعيد عن الحرج وتکليف ما لا يطيق الإنسان وما من شيء أودعه الله في الإنسان إلا وجعل له قناعة نظيفة، أريد أن أقول أستاذ جمال ليس في الإسلام حرمان، في الإسلام تنظيم، يعني ما من شهوة أودعها الله في الإنسان إلا وجعل لها قناعة نظيفة تجري من خلالها لأن هذه الشهوات التي أودعها الله فيما بيننا شهوات حيادية هي سلم نرقى بها أو دركات نهوي بها، إذا وظفت هذه الشهوات في الحق كانت سلماً نرقى بها وإن استخدمت بالباطل كانت دركات نهوي بها هي حيادية بل إن الشهوات سبب رقي الإنسان عند الله عز وجل لأنها قوى محركة، الوقود في السيارة إذا وضع في مستودعاته المحكمة وسال في الأنابيب المحكمة وانفجر في الوقت المناسب وفي المكان المناسب ولد حركة نافعة، وإذا خرج عن مساره وأصاب المركبة شرارة أحرق المركبة ومن فيها، هي كالبنزين قوة انفجارية إذا وظفت بشكل صحيح كان حركة نافعة، فإذا خرج عن مساره فالشهوة حيادية نرقى بها أو نهوي بها.

قالت: ففعلت، وهذه خولة في قصتها دروس عظيمة للتئام الحياة الزوجية والإسهام في رأب الصدع ورعاية القرابة، وكبر السن بين الأزواج، أستاذ جمال دقيق، قال تعالى:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمِيعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ (٢٩)

[سورة الشورى]

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُمْ إِنْ كُنْتُمْ إِيمَانًا تَعْبُدُونَ﴾ (٣٧)

[سورة فصلت]

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢١)

[سورة الروم]

فكما أن السماوات والأرض من آيات الله الدالة على عظمته كذلك الزواج من آيات الله الدالة على عظمته، وأعظم من هذه الآية هذا الود والرحمة من الزوجين وإن لم يكن بين الزوجين فهي حالة مرضية تقضي المعالجة لأن هذا من خلق الله عز وجل، سئل النبي عليه الصلاة والسلام من أعظم الرجال حقاً على المرأة؟ قال: زوجها، ثم سئل من أعظم النساء حقاً على الرجل قال: أمه.

فهذه قصة مؤثرة، روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مر بها في زمن خلافته وهو يركب دابة والناس حوله، فنزل من على الدابة ووقف أمامها بأدب جم يستمع إليها، بعض من حوله لم يعرفها فقالوا: أتفعل بهذه العجوز هذا الموقف، يعني هل من المعقول خليفة المؤمن ينزل من على

دابته ويقف بدب جم أمام امرأة عجوز، قال: أتدرون من هذه العجوز؟ هي خولة بنت ثعلبة التي سمع الله قولها من فوق سبع سموات، أيسمع رب السماوات والأرض قولها ولا يسمعه عمر . ما شاء الله على هذه الحكمة وهذه الذاكرة عند سيدنا الفاروق .

لم تلجم خولة إلى العنف، لم تفك في عمل طائش فإن هذا ليس من خلق الإسلام، بل راحت تلتزم الحل عند الله وعند رسوله وتشكر أمرها إلى الذي خلقها فهو القادر على أن يفك كربها ويجعل من بعد عسر يسرا .

وإن شئت أيها الأخ الكريم أن تسمع وهي تعرض شكوكها على النبي صلى الله عليه وسلم فتعال إلى ما أخرجه ابن ماجة والحاكم وصححه والبيهقي وغيرهم عن عائشة رضي الله عنها قالت: تبارك الذي وسع علمه كل شيء هذا قول النبي الكريم إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفي علي بعضه:

((عن عروة بن الزبير قال: قالت عائشة: تبارك الذي وسع سماعه كل شيء إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفي على بعضاً وهي تشتكى زوجها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تقول: يا رسول الله أكل شبابي ونثرت له بطني حتى إذا كبرت سنّي وأنقطع ولدي ظاهر مني اللهم إنيأشكُوكاً إلَيْكَ فَمَا بَرِحْتُ حَتَّى نَزَلَ حِبَّائِيلٍ بِهُوَلَاءِ الْأَيَّاتِقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلُ التَّيِّ تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ))

[النسائي]

وقد أوصى النبي عليه الصلاة والسلام بالنساء خيراً فقال:

((أكرموا النساء فوالله ما أكرمنهن إلا كريم ولا أهانهن إلا لثيم))

((إنهن المؤنسات الغاليات))

وكان إذا دخل بيته بساماً ضحاكاً، وكان عليه الصلاة والسلام زوجاً كريماً، زوجاً وفياً، وكانت عائشة تقول له: يا رسول الله كيف حبك لي؟ فيقول لها: كعقدة الحبل، تسأله من حين لآخر ما العقدة؟ أصبحت هذه العقدة شيفرة بينهما، ما العقدة؟ يقول: على حالها .

هكذا كان النبي زوجاً كريماً وأباً رؤوفاً رحيمًا وهو قدوة لنا وقد قال الله عز وجل:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ

كثيراً﴾ (٢١)

[سورة الأحزاب]

حقاً فضيلة الشيخ شخصيات فذة من صحابة النبي صلى الله عليه وسلم الذين تربوا في بيت النبوة فكانوا فعلاً مثال يحتذى في الأخلاق والعلم والأدب وال التربية .

أهلًا ومرحباً بفضيلة الشيخ محمد راتب النابلسي الأستاذ المحاضر في كلية التربية في جامعة دمشق والمدرس الديني في مساجد دمشق وخطيب جامع النابلسي فضيلة الشيخ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وعلیکم السلام ورحمة الله وبرکاته أستاذ جمال .

والحمد لله رب العالمين